علاقة المتوكل بالبيت العلوي

دخلت العلاقات بين العباسيين والعلويين في عهد المتوكل في مرحلة جديدة ، وهي حلقة من سلسلة طويلة متصلة الحلقات .

لخص صاحب الفخري موقف المتوكل من العلويين وانتقد هذا الموقف وناقش رأي من قال بتحريض الحاشية للخليفة على اضطهاد العلويين ، فقال : ((كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي (عليه السلام) ، وفعل من حرث قبر الحسين (عليه السلام) ما فعل ، وأبى الله الا أن يتم نوره وقال من يعتذر له أنه كان كأخيه المأمون في الميل الى بني علي (عليه السلام) ، وانما كان حوله جماعة منحرفون عن أهل البيت (عليهم السلام) ، فكانوا دائما يحملونه على الوقيعة فيهم .
والأول اصح ، ولا ريب كان شديد الانحراف عن هذه الطائفة ، ولذلك قتله ابنه غيرة وحميه ، تقدمت حاشية المتوكل اليه تحرضه على الأمام العلوي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمام الشيعة الأمامية ، وزعمت (أن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها) وأرسل المتوكل ليلا فرقة من الاتراك هاجمت دار الأمام العلوي
((فوجدت البيت مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف ، متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأخذ على ما وجد عليه وحمل الى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كاس ، فلما رأه اعظمه واجلسه الى جانبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل بها ، فناوله المتوكل الكاس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني منه ، فعفاه ، وقال انشدني شعرا استحسنه ، فقال : أني قليل الرواية للأشعار . فقال : لابد أن تنشدني، فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم فاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الاسرة والتيجان والحلل ؟
اين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل
فأصبح القبر عنهم حين سألهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا
وطالموا عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا فخلفوها الى الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفرا معطلة وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

((فأشفق كل من حضر على علي ، وظن أن بادرة تبدو منه اليه ، وبكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب ، ثم قال له : يا ابا الحسن ، اعليك دين ، قال : نعم ، اربعة الاف دينار ، فأمر بدفعها اليه ، ورده الى منزله من ساعته مكرما)) .

وفي رواية اخرى للمسعودي يقول : ((قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد : ما يقول ولد ابيك في العباس بن عبد المطلب ؟ قال : وما يقول ولد أبي أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه ؟ فأمر له بمائة الف درهم ، وانما اراد ابو الحسن طاعة الله على بنيه ، فعرض))
وروى الطبري في تاريخه سنة 236هـ : ((أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بعض النواحي ، وكان فيما ذكر قد جمع قوما فضربه عمر بن فرج ثمان عشرة مقرعة ، وحبس ببغداد في المطبق)) .

المتوكل العباسي ومحاربته لقبر الامام الحسين (عيه السلام) وزيارته

لم يكتف المتوكل بالتنكيل بشيعة أهل البيت ومطاردتهم ، فأراد أن يمنعهم عن زيارة الحسين (عليه السلام) ، ففرض عليهم الضرائب وهددهم وتوعدهم بالقتل ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم ، فلم يصغوا لتهديده ولا لوعيده ، واستمرت وفود الشيعة على كربلاء في تصاعد مستمر ، يكمنون بالنهار ويسيرون ليلا .
ونذهب لأبي الفرج الأصفهاني لنرى ما فعله المتوكل بقبر الحسين ومع زائرية ، فقد جاء في مقاتل الطالبيين أن المتوكل الهاشمي كان شديد الوطأه على ال ابي طالب ، غليظا على جماعتهم وشديد الحقد والغيظ عليهم ، وكان وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان يشاركه في سوء الراي بهم ، فحسن له القبيح في معاملتهم وبلغ فيهم مالم يبلغه أحد من بني العباس قبله ، وكان من سوء فعله أن كرب قبر الحسين وعفى اثاره ، ووضع على سائر الطرق المؤدية اليه مسالح من جنده لا يجدون احدا في طريقة لزيارته الا قتلوه او انهكوه تعذيبا ، ومضى يقول : لقد حدثني أحمد بن الجعد الوشاء وقد شاهد بنفسه ذلك - فقال : كان السبب في حراثة قبر الحسين (ع) ان بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها الى المتوكل قبل خلافته يغنين له اذا شرب فلما تولى الخلافة بعث الى تلك المغنية، فعرف انها كانت غائبة في زيارة الحسين (ع) ، ولما بلغها خبره اسرعت في الرجوع وبعثت اليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: اين كنتم ؟ فقالت : خرجت مولاتي الى الحج واخرجتنا

معها، وكان ذلك في شعبان فقال : والى اين حججتم نحن في شعبان ؟ فقالت : قصدنا قبر ابن عمك الحسين بن علي (ع) ، فاستشاط غضبا ، وامر بمولاتها فوضعها في سجنه وصادر املاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له (الديزج) - وكان يهوديا - الى مرقد الحسين وامره بهدمه ، وان يكرب محلة ولا يترك له اثرا ، فمضى لذلك ونفذ جميع ما أمره به المتوكل ، فهدم ما حوله من البناء والبيوت التي كان اصحابها يستقبلون الزوار فيها ، وكرب نحوا من مائتين جريب حوله ، فلما بلغ القبر لم يتقدم لهدمه احد ممن كانوا معه من جنود المتوكل وانصاره فأحضر قوما من اليهود فهدموه ثم كربوه واجروا الماء عليه وعلى ما حوله من الاراضي ، واوكل امر ملاحقة الزوار الى جنوده وجلاوزته ،فكل من وجدوه متوجها لزيارته اعتقلوه وارسلوه اليه .

واضاف الى ذلك الاصفهاني في مقتله ان محمد بن الحسين الاشناني قال : لقد بعد عهدي بالزيارة في تلك الايام خوفا من السلطة الحاكمة ثم علي المخاطرة بنفسي وساعدني رجل من العطارين على ذلك فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير بالليل حتى اتينا نواحي الغاضرية وخرجنا منها نصف الليل ، فسرنا بين مسلحتين حتى اتينا محل القبر وقد خفي علينا ، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى اتيناه ، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه واحرق واجري الماء عليه فأنخسف موضع اللبن وصار كالخندق فزرناه ، ثم انكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها في جميع انواع الطيب ، فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه ؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها شيئا من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع فلما قتل المتوكل ، اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتى صرنا الى القبر ، فأخرجنا تلك العلامات واعدناه الى ما كان عليه .

وفي رواية للمسعودي، كان المتوكل يتتبع الرافضة ، والرافض عنده هو(من زعم ان علي بن ابي طالب افضل من العباس بن عبد المطلب وان ولده احق من ولد العباس بالخلافة).

مصرع الخليفة المتوكل :

تفاقمت حدة الصراع بين المتوكل والقادة العسكريين الاتراك بعد ان اقدم الخليفة على اتخاذ سلسلة من الاجراءات التي استهدفت ابعاد العناصر التركية عن السلطة فانتهز هؤلاء الفجوة الكبيرة بين الخليفة وولده المنتصر، فتحالفوا معه ووضعوا نهاية مؤلمة للمتوكل ، وقد اشار المسعودي الى ان عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل ونديمه الفتح بن خاقان قد لعبا دورا كبيرا في تعميق الفجوة بين الخليفة وولده المنتصر ، اذ كانا يشجعان المتوكل على تقريب ولده المعتز وابعاد المنتصر ويضيف الطبري الى ذلك فيذكر انهما اشارا على المتوكل في اخر جمعة من شهر رمضان سنه 247 هـ ان يفوض امامة الصلاة للمعتز ،فاغتاظ المنتصر وزاد ذلك في اغرائه ،وقد بلغ من كره الخليفة لولده ومن خوفه لدسائسه انه فكر بالفتك به وزاد به في شتمه واعانته ، ثم اعلن خلعه في مجلس انعقد اواخر ايامه .

هكذا وجد الاتراك في ولي العهد خير حليف لهم ، و بدأوا يشكلون خطتهم للتخلص من الخليفة ،وان بغا الشرابي العقل المدبر للمؤامرة وعلى الرغم من أن المنتصر وقف الى جانب المتآمرين، الا انه لم يشترك في اعداد الخطة، كما آن الجند لم يكن لديهم يد في هذه المؤامرة بل انهم علموا بها بعد تنفيذها ، كان مقتل المتوكل قد تم على يد حفنة من القادة العسكريين مع عدد من المدنيين مثل احمد بن الخصيب الذي اعلن للناس ان الخليفة قتل في البلاط على يد الفتح بن خاقان ، وان امير المؤمنين المنتصر قتل الفتح بن خاقان ، وتمكن المتآمرون من احكام سيطرتهم على دار الخلافة والقضاء على الاضطرابات التي حاول الجند المغاربة اثارتها ، وان مقتل المتوكل قد تم يوم الثلاثاء الرابع من شوال سنة 247 هـ .